تلك التي تنزف وحيدة

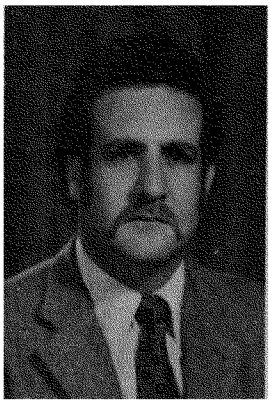

وليد رباح

لا امدح « الآداب » لاني احب صاحبها ، ولا اذمها لان الذم على غير حقيقته مديح ،

ولن أقول عن الاداب أكثر مما يقال ، فالجبال عندما تقصفها الريح تنام عند قممها كسيرة .

ولكني ابتعد عن هذا وذاك لاذكر الفتى وهو يحمل على كاهله بعض نتاجه من « بضاعة الكلام » يدور بها كالتائه بين اكوام من المجلات العربية فيرى تقلب الوجوه والشفاه فيعود حسيرا كئيبا يحلف اغلظ الايمان ان لا يمارس لعبة القلم طيلة عمره .

وتأتيه البارقة من احد الاصدقاء ان راسل «الآداب» فلا يصدق ، اذ غدت رهبة الآداب في ذهنه اسوارا لا تخرقها الا الاسماء الكبيرة اللامعة .

ويمضي الليل يأخذه الفكر تارة بين شتم « الآداب » وطورا شتم صاحبها ، فهي في تفكيره لا تختلف عن المطبوعات العربية الاخرى ، مجلة ينظر صاحبها او رئيس تحريرها الى الاسم فيمتعض او يفرح حال قراءته .

ويصدق او لا يصدق أن خيوط الفجر قد بزغت ، يحمل في يمناه قصته واجف القلب فيودعها صندوق البريد .. ينتظر طويلا .. طويلا ، وبين فرحه وانكساره بقلب صفحات « الآداب » ثم يعود الى البيت فيمزق ثلاث قصص نتفا صغيرة لا يزال الندم يأكله كلما تذكرها.

ويذهب الشهر يتلوه الآخر دون جدوى ، وفي خضم عمله يأتيه هاتف من صديق فيسرع الى المكتبة ويقلب الصفحات لتصيبه فرحة طاغية .. يسير في الشارع وهو يخال كل العيون مصوّبة اليه ، فرحة جعلته يمسك قلمه ويحاول من جديد فيأتي النجاح على يد الآداب .

تلك قصة مضت منذ سنين ، ولكني حتى اللحظة تغمرني كلما قرات اسمي مجددا في الآداب ، تلك المجلة التي اعشقها كما اعشق المرأة السمراء صاحبة العينين الخضراوين .

وقد كنت اخال على سذاجة مني اني « فلقة زماني » ولذا فقد تبنتني الآداب ، وكنت اعتبر نفسي طفلها الشرعي المدلل ، غير اني ما لبثت ان عرفت، ان أطفالها كثر لا ينكر احد صحة شرعيتهم ينتمون للمجلة التي عشقوها، ولكن ما يحزنني اليوم ، ان عشرات من هؤلاء قد تنكروا للآداب فزحفوا نحو المجلات التي تبيض الدنانير مدعومة من وزارات الاعلام العربية .

ويحزنني أكثر ، بعد ان تعرفت على صاحب الآداب وصادقته ، رحلة العذاب التي قطعتها الآداب دون ان تجد من يمد لها يده ، فكم من مرة تعرضت للغرق في البحر العربي ورآها من رآها وظل يقف على الشاطىء متفرجا يتحسر .. بينما ظل صاحبها يحمل على كاهله قارب المطاط يغوص تارة وينقذها اخرى ، وحيدا يقف على شاطىء العذاب وقد تبرات من دم الآداب الذي ينزف كل الاقطار . لكنه ـ والحمد لله ـ ذلك الدم الذي يتجدد في جسمها كلما نزف لتعطي وتعطي دون ان تتوقف .

ونحن اذ نراها اليوم تشهد يوبيلها الفضي نفرح ، ولربما نفرح لها اكثر من صاحبها ، فنحن اطفالها الذين لم نزل على حبها نتمنى ان تأخذ « الآداب » من دمنا وليس من عقولنا فقط ، كي تستمر في طريقها صرحا شامخا للثقافة العربية لا توقفها الاعاصير ولا تؤثر في بنيانها العواصف ،

فتحية الى الآداب وتحية الى صاحبها ،والى نقطة عرق سالت على طريق بناء صرح الآداب .

طرابلس ـ ليبيا